

البحث العلمي-مناهجه وأساليبه العلمية

Scientific research- certificate and methods of scientific

د. نجيم حناشي

جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية،

(الجزائر)

hanachi_nadjim@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2022/05/13

القبول: 2022/04/07

تاريخ الاستلام: 2022/01/20م

ملخص:

يهدف البحث إلى الوقوف على خصائص البحث العلمي المتنوعة ومعايير تصنيف مناهج البحث العلمي إضافة إلى ذكر أهم أنواع المناهج وأساليبها العلمية المتبعة في البحوث، وذلك نظرًا لأهمية البحث العلمي باعتباره يؤدي دورًا رئيسيًا في فتح آفاق جديدة ومثمرة في عالمنا المعاصر في جميع المجالات، كما يساهم في التقدم الحضاري والارتقاء بحياة الإنسان وتحسين مستوى معيشتة. كما يساهم في تكوين المعرفة التي هي خلاصة التفكير العلمي.

المنهج العلمي هو أسلوب للتفكير والتنفيذ، يعتمد الباحث إنجاز بحثه، لتنظيم أفكاره وتحليلها، وعرضها للوصول إلى الحقائق حول ظاهرة، أو الحدث موضوع الدراسة. ويتم ذلك وفق مجموعة من الخطوات المتلازمة، التي تؤدي كل منها إلى الخطوة التالية. والسؤال الذي يبقى يطرح نفسه: ماهي أنواع المناهج العلمية وأساليبها المتبعة في إعداد البحوث بمختلف أنواعها؟.

الكلمات المفتاحية: بحث علمي؛ منهج علمي؛ أسلوب علمي؛ منهج تاريخي؛ منهج وصفي.

Abstract :

The research aims, to stand on the properties of diverse scientific research standards classify scientific research curricula, as well as the most important types of curricula and scientific methods, given the importance of scientific research as a major role in opening new and fruitful horizons in our contemporary world in all Areas, also contribute to civilization, and promotion of human life and improve its standard of living, and contribute to the configuration of knowledge which is the summary of scientific thinking. The scientific approach is to think and execute, adopts by the researcher to achieve its research, to organize its ideas and analyze, and display them to reach the facts about phenomenon or event. This is done according to a set of syndrome steps, each of which leads to the next step. The question that remains what are the types of scientific curricula and their methods of preparing research in various kinds?

KeyWords: scientific research; scientific curriculum; scientific method; historical method; descriptive approach.

المقدمة:

المقصود بمناهج البحث العلمي تلك المجموعة من القواعد والأنظمة العامة التي يتم وضعها من أجل الوصول إلى حقائق مقبولة حول الظواهر موضوع الاهتمام من قبل الباحثين في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية، والمناهج تختلف باختلاف الموضوعات المطلوب بحثها من قبل الباحثين والذين يمكن أن يتبعوا مناهج علمية مختلفة (عبيدات، 1997م، ص 209)

المنهج العلمي هو أسلوب للتفكير والتنفيذ، يعتمد على الباحث لإنتاج بحثه، لتنظيم أفكاره وتحليلها، وعرضها للوصول إلى الحقائق حول الظاهرة، أو الحد من موضوع الدراسة. ويتم ذلك وفق مجموعة من الخطوات المتلازمة، التي تؤدي كمنها إلى الخطوة التالية. حيث يبدأ المنهج بالخطوة الأولى، وهي تحديد مشكلة البحث مروراً بصياغة الأهداف والفرضيات، وتحديد الأبعاد والحدود، ومصادر البيانات، وطرق معالجتها، والمنهج المستخدم في ذلك لعرض النتائج، واقتراح التوصيات. وهنا يمكن التفريق بين المنهج أو الأسلوب، حيث إن المنهج يقتصر على أسلوب محدد واضح ومميز، أو مجموعة من الأساليب ذات الخصائص المتماثلة. والسؤال الذي يبقى يطرح نفسه: ماهي أنواع المناهج العلمية وأساليبها المتبعة في إعداد البحوث بمختلف أنواعها؟ وما هي خصائص منهج البحث؟ وما هي المعايير التي ينبغي على الباحث التقيد بها؟

I. خصائص منهج البحث العلمي:

تشترك مناهج البحث العلمي علماً باختلاف أنواعها، مجموعة من الخصائص المميزة يمكن إجمالها بالآتي: (غرايبي، 1977م، ص 12)

- التنظيم في طريقة التفكير والعمل، القائمة على الملاحظة والحقائق العلمية.
- التسلسلية والترابط في تنفيذ خطوات البحث المتتالية.
- الموضوعية والبعد عن الخصوصية والتحيز الذاتية والميول الشخصية.
- إمكانية اختيار نتائج البحث في أي مكان وزمان، باستخدام المناهج العلمية ولكن ضمن ظروف وشروط مماثلة لحدوث نتائج الظاهرة المدروسة.
- معالجة الظواهر والأحداث، التي تمخضت عن ظواهر أو أحداث مماثلة.
- القدرة على التنبؤ. أي وضع تصور لما ستكون عليها الظواهر والأحداث قيد الدراسة في المستقبل.

II. معايير تصنيف مناهج البحث العلمي:

1. طبيعة المنهج/الأسلوب العلمي:

كأن يكون المنهج نظرياً يتميز بإطار واضح له أسسه ومقوماته، لمعالجة منظمة وشاملة لمشكلات الظاهرة أو الحد قيد الدراسة، للوصول إلى النتائج الحقيقية، مع إيجاد اتجاه للتطوير. ومنهذه النتائج جعل سبيلاً لمثال "المنهج التاريخي والمنهج الوصفي والمنهج الاجتماعي الأخلاقي". أما المنهج العلمي التطبيقي، فهو يعانيمغياً بالأسس النظرية، التي تسمح بمعالجة منظمة وشاملة للمشكلات المدروسة، وتقديم الحلول المطروحة لها، مع إمكانية اتجاهها نحو التطوير. ومنهذه المناهج جعل سبيلاً لمثال "المنهج

التجريبية والمنهج التحليلي والإحصائي والمنهج المقارن.... الخ.

2. طبيعة الظاهرة أو الحدث المدروس:

هناك من مشكلة تصنيف المناهج للبحث العلمي، حيث أننا ننتشر كمع بعضها بعضاً، فيبحث ظاهرة أو حدث معين، كما في العلوم الاجتماعية، فالمناهج النظرية أكثر استخداماً في العلوم الاجتماعية، والعكس بالنسبة للمناهج العلمية والتطبيقية. واستناداً لهذه المعايير يمكن تصنيف المناهج للبحث العلمي كما يلي:

- المنهج التاريخي. - المنهج الوصفي. - المنهج التجريبي.

III. أنواع المناهج للبحث العلمي:

لقد اختلف المتخصصون في الدراسات المنهجية بشأن معايير تصنيف المناهج كما رأينا ذلك سابقاً، ويمكن أن يندرج ضمن ما يسمى مناهج أو ما يمكن تسميته إقترايات أو أساليب، فهناك من وضع ضوابط واسعة وهناك من تشدد في الشروط التي ينبغي توفرها في أسلوب البحث ليرقى إلى مستوى المنهج، وهؤلاء العلماء منهم من نظر إلى أهداف البحث و منهم من نظر إلى المنطق الذي يتبعه المنهج و خصائصه، و قد ترتب عن اختلاف وجهات النظر تلك، اختلاف التصنيفات التي سنوضحها فيما يلي، رغم أنه يوجد شبه إجماع على كثير من هذه الأنواع، و إنما تختلف في تصنيفها. وفيما يلي عرض لبعض التصنيفات للمناهج للبحث العلمي:

1. المنهج التاريخي:

يهتم التاريخ في الأساس بتسجيل أحداث الماضي، وبهذا فهو يُعتبر إعادة التفكير في الماضي وكتابة الأحداث التاريخية بوعي عن طريق جمع الأدلة ثم تمحيصها وتأليفها من أجل عرض الحقائق بطريقة صحيحة في مدلولاتها وفي تأليفها بُغية التوصل إلى استنتاج النتائج ذات البراهين العلمية الواضحة.

والمنهج التاريخي يُستخدم للحصول على أنواع معينة من المعارف والمعلومات عن طريق الماضي، ويتم ذلك لتحليل وتفسير بيانات ومعلومات، ونتائج الدراسات التي نُفذت بخصوص هذا الأحداث والظواهر، وذلك لتحديد التغييرات والتطورات التي تعترضتها، وتحديد العوامل والأسباب المسؤولة عن هذه الظواهر والأحداث، والتمييز بين صورتها الأصلية، لأنه من الصعب فهم حاضر الشيء دون الرجوع إلى ماضيه. فهناك بعض الحالات لا بدّ للباحث أن يرجع إلى الماضي الممتد ودراسة الأحداث والظواهر الماضية بغرض تحليل المشاكل الإنسانية والقوى الاجتماعية في الوقت الحاضر. فالحياة المعاصرة تعتمد على الحياة الماضية، وهي امتداد لها.

كما يُعرف بأنه: (Ajam, 1970, p 22)

- فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل من خلال دراسة الأحداث التاريخية الماضية والتطورات التي مرت عليها.
- الأسلوب الذي يدرس الظواهر القديمة وتطوراتها، وذلك للربط بين الأسباب والنتائج.
- طريقة تقصي الحقائق العلمية البشرية التاريخية للوصول إلى نتائج وقوانين وقواعد يمكن تعميمها واستخدامها للتنبؤ المستقبلي ضمن السياق التاريخي.
- وسيلة جمع المعلومات التاريخية البشرية من المصادر الأولية أو الثانوية الداخلية والخارجية.

- الوسيلة التي يستخدمها الباحث للاستعانة بالوثائق والآثار للتعرف على الحضارات الإنسانية السابقة.

فالمنهج التاريخي لا يصف الظواهر والأحداث في الماضي فقط، بل يدرسها ويحللها ويفسرها بغية الوصول إلى حقائق، وتعميمات تساعد على فهم الماضي والحاضر والتنبؤ بالمستقبل. فالباحث التاريخي يعتمد على مصادر كُتبت سلفاً، نطلع عليها ونجمع المعلومات منها، ولا يمكن للحقائق أن تجلوا ولا للفروض أن تصبح إلا من خلال مادة كُتبت عنها أو دُوّنت حولها.

فالباحث المستخدم للمنهج التاريخي، يمكنه تطبيق خصائص البحث العلمي، فيدراسه كالدقة والموضوعية والأمانة العلمية، فيج معالبيات وتوحيدها وتفسيرها، للوصول إلى المعرفة العلاقة بين الظواهر والأحداث التاريخية، بتحديد العلاقات السببية فيما بينها، ومنشأ استخلاص القوانين، وبالتالي تعميمها والاستفادة منها. إن المصدر

الأساسي للبيانات والمعلومات، هو السجلات التاريخية، وأحياناً الأفراد وإن كانوا لا يملكون القدرة على الاحتفاظ بالحقيقة لفترة طويلة، دون تحيز أو مبالغة في وصف الظواهر والأحداث، كما وقعت (عليان، 2000م، ص 37-38).

فالمنهج التاريخي يحكم دراسته للماضي، لا يُمكنُ الباحثُ من استرجاع الظواهر والسيطرة عليها أو التأثير فيها، لذلك فإن النتائج التي تتوصل إليها، من خلال استخدام المنهج التاريخي، غالباً ما تكون غير دقيقة بالمعايير العلمية، لأنها غير كاملة، وتستند إلى أدلة وبراهين جزئية، وفيها شيء من الذاتية والشخصية. ورغم ذلك المنهج التاريخي ناقداً باحثاً للحقيقة، من خلال أسلوب علمي يحدد المشكلة، مروراً بوضع الفروض والملازمة، وجمع البيانات والمعلومات، وإخضاع الفروض للاختبار للوصول إلى النتائج المنشودة، والاعتماد على الملاحظة غير المباشرة، لا تنقص من أهمية البحث، خصوصاً إذا ما تم إخضاع البيانات للنقد والتمحيص الدقيق (عبيدات، 1997م، ص 209).

هناك العديد من المحاولات لتوضيح قوانين خاصة بالظواهر والأحداث، إلا أن تعميمها وتطبيقها في جميع الأحوال، وتفسيرها لكافة الظواهر والأحداث الحاضرة والمحتمل أن تقع في المستقبل لم تكن كافية. إن اعتماد المنهج التاريخي على استرداد، وتتبع جذور واكتشاف الحلول للظواهر والأحداث الحاضرة، على ضوء ماتم في الماضي، أي الاعتماد على جمع البيانات والمعلومات التاريخية، ونقدها وتحليلها أمر في غاية الأهمية.

1.1. خطوات المنهج التاريخي:

يمكن حصر خطوات المنهج التاريخي في عدد من الخطوات المتسلسلة والمتراصة كما يلي: (دالين، د س، ص 378).

أ. **تحديد المشكلة:** لا توجد مشكلة في تحديد بين مناهج البحث العلمي. إلا أنه يجب أن نأخذ بعين الاعتبار

المكان والزمان، وعدم انسياق الباحث وراء العناوين والبراقة وغير الواقعية، والتيلسلسها علاقة بالبيئة الاجتماعية والعلمية للباحث، لأن ذلك قد يكلف الباحث جهداً ووقتاً كبيرين، لا يعودان الفائدة علمياً للبيئة والمجتمع العالتي تدرس فيهما المشكلة".

ب. **إعداد الفرضيات:** كيبستطيع الباحث إنجاز بحثه بشكل عام ... لا بد له من تحديد فرضية أو فرضيات، سواء اعتمد المنهج التاريخي أو غيره؛ لأنَّ الفرض يساعد الباحث في تحديد مساراتها ووجهته، وتوجيهه لجمع معلومات معينة، فالفرضية بمثابة البوصلة بالنسبة للباحث، فيتحديد وجهته نحو مجموعة آلية معالجة البيانات والمعلومات، المتعلقة بالظاهرة أو الحدث المدروس، وعادة ما تعدد الفروض بالنسبة للدراسات الاجتماعية، لأنَّ معظم أحداثها لا يمكن تفسيرها بشكل موضوعي لسبب واحد، ذلك أنَّ الأحداث الاجتماعية معقدة ومتداخلة، وفي الغالب تكون متعددة مشاكل، يصعب بطيها بسبب واحد.

ت. جمع البيانات والمعلومات:

بما أنَّ الباحث المستخدم للمنهج التاريخي، بعيداً زمانياً عن الظواهر والأحداث التي يقوم بمبراستها، وبالتالي يصعب إخضاعها للملاحظة المباشرة، لذا لا بد له من اعتماد عدة مصادر للبيانات والمعلومات المتعلقة ببحثه، والتي يمكن إجمالها بالآتي:

ت1. المصادر الأولية:

هي المصادر التي تحتوي على المعلومات والبيانات الأصلية، وهي أقرب ما تكون من الواقع، وعليه فهي تعكس لنا الحقيقة بصدق أو يشوبها التحريف. أو هي البيانات والمعلومات التي تأتي إلينا دون المرور بمراحل التفسير والتغيير والحذف وما شابه ذلك والتي تتمثل في:

- تقارير وسجلات شاهدي العيان أو ممن سمع الحوادث بآذانه وقت حدوثها.
 - بقايا الأشياء الفعلية التي استُخدمت في الماضي والتي يمكن فحصها بطريق مباشر.
 - نتائج البحوث العلمية والتجارب وبراءات الاختراع والمخطوطات والتقارير السنوية والإحصاءات الصادرة عن المؤسسات الرسمية المعنية والوثائق التاريخية والمذكرات وما شابه ذلك من مصادر.
- ينبغي التركيز والاعتماد قدر الإمكان على المصادر الأولية في البحوث التاريخية باعتبارها تمثل أساس ذلك وهي أقرب للحدث أو الواقعة.

ت2. المصادر الثانوية:

هي المعارف والمعلومات التي قد يجدها الباحث وينقلها من مصادر أخرى كالسجلات أو الصحف والدوريات العلمية ودوائر المعارف ومقالات المجلات والكتب المؤلفة في الموضوعات المتنوعة، وجميعها قد ترجع مصادرها إلى ثالث أو رابع أو قد يكون خامس مصدر لتقل المعرفة. وهذه المصادر لا يمكن اعتبارها في البحث التاريخي مصادر موثوق بها مثل المصادر الأولية، ولكن هذه المصادر قد تُحقق العديد من الأغراض التي تُسهم في نجاح الدراسة وتُستخدم المصادر الثانوية عادةً في حالة عدم توافر المصادر الأولية.

ث. تحليل ونقد البيانات:

ذلك أنَّ مصادر البيانات والمعلومات غير مباشرة، خاصة وأنَّ جمعها تمَّ دون الرجوع إلى المصادر الأولية. وبالتالي تزداد نسبة عدم

الموضوعية فيها. لهذا ينبغي تباع مبدأ الشك العلمي في البيانات والمعلومات، التي حصل عليها الباحث حول

المشكلة المدروسة، بهدف ألاطمئنان بالدقة وصحة وأمانة التدوين للبيانات والمعلومات، لكي يصل في النهاية إلى نتائج صحيحة، وهنا يمكننا أن نميز النقد علم مستويين:

ث1. التحليل والنقد الخارجي: يرتبط بشكل الوثيقة وعنوانها الرئيسي للتأكد من ارتباطها بعصرها.

أيهدف إلى التأكد من مصدر البيانات والمعلومات، أيًا كان نوعه ومصدره، ويركز على تدقيق شخصية المؤلف والكاتب، وزمن الوثيقة ومكان مصدرها.

ث2. التحليل والنقد الداخلي: يرتبط بمحتوى الوثيقة ودقة ما تحتويه من معلومات. أي يركز على التأكد من صحة محتوى المادة العلمية التي تحويها الوثيقة. إن عملية النقد سواء

كانت خارجية أو داخلية، ليست عملية عشوائية، بل لها أصول وقواعد علمية تُحدد منها على سبيل المثال:

- اعتماد أكثر من مصدر للحصول على البيانات والمعلومات، للتأكد من مصدرها ومطابقتها.

- عدم إهمال أي بيانات ومعلومات، وإنما إعطاؤها القدر اللازم من الدراسة والنقد.

- مد بال موضوعية في صياغة البيانات والمعلومات المدونة في المصدر، بالإضافة إلى الشمولية.

وهذه الخطوة تتطلب من الباحث أن يعرض النتائج التي توصل إليها البحث تبعاً لأهداف أو أسئلة البحث مع مناقشتها وتفسيرها. وينقسم التحليل الداخلي بدوره إلى نوعين: تحليل إيجابي وتحليل سلبي.

*** التحليل الإيجابي:** يركز على فهم معنى الألفاظ والعبارات الواردة في الوثيقة للوصول إلى تحديد المعاني المختلفة ومعرفة الجمل والتراكيب والعبارات الواردة. كما يضطر الباحث إلى معرفة لغة العصر الذي كُتب فيه، وفك رموزها وأغازها، لذلك على الباحث أن يكون خبيراً بمعرفة اللغة قديمها وحديثها حتى يتمكن من تحليل ونقد وتقييم الوثيقة.

*** التحليل السلبي:** إذا كان الإيجابي يفيدنا في معرفة قصد المؤلف ومعانيه وأسلوبه وحتى تراكيب اللغة، فإن التحليل السلبي يُفيد في معرفة الظروف المحيطة بالمؤلف والتي كان لها تأثير على الوثيقة. كما تدلنا هذه الظروف على معرفة الدوافع الأساسية وراء تأليف الوثيقة، هل هي دوافع خاصة أو مصلحة أو جماعية يُريد من خلالها صاحب الوثيقة أن يدافع عنها.

ج. توثيق وكتابة البحث:

يشمل توثيق وكتابة البحث تحديد المشكلة وأهميتها وأهدافها، واستعراض الدراسات السابقة المتعلقة بها وحدود البحث، بالإضافة إلى المنهج المتبع في حلها، وما يميزها عن غيرها، ومن ثمّ وضع الفروض والأدوات المستخدمة لاختيارها، والنتائج التي تمّ استخلاصها، نتيجة معالجة البيانات والمعلومات المتعلقة بالمسألة، واقتراح التوضيحات

اللازمة، لاستكمال البحث تحقيقاً لمجاله العلمي، مع إدراج المصادر المعتمدة للبيانات والمعلومات، في معالجة هذه

الظاهرة، وما يتبع ذلك من ملاحق. لذا على الباحث عند كتابة تقرير البحث التاريخي أن يضع في اعتباره النقاط التالية:

(عوض صابر، 2002م، ص 74-75).

- ألا يصيغ مشكلة بحثه صياغة فيها إسهاب ولكن أن يعرض مشكلة أو موضوع البحث عرضاً متماسكاً جذاباً.

-أن يُتقن فنّ صياغة الأدلة التاريخية وأن يستخدم المصادر الأولية في جمع المادة العلمية والبيانات المتعلقة بموضوع الدراسة.

— عليه أن يهتم بالنقد الداخلي والخارجي لكافة البيانات حتى يتحقق من صِدْقِها.

-البُعد عن التحيز الشخصي للباحث كالمبالغة في الإعجاب بالماضي أو النقد المبالغ فيه.

2.1. أساليب المنهج التاريخي:

لتنفيذ الخطوات السابقة للمنهج التاريخي، يُستخدم الأسلوب الاستنباطي والاستقرائي، وفيما يلي شرح موجز لكل منهما:

أ- الأسلوب الاستنباطي:

يُستخدم في العلوم النظرية والرياضيات من بينها على وجه الخصوص، ويستند الاستنباط إلى مجموعة من الحدود الأولية والتعريفات والبيدهيات والمصادر، وينتقل منها-في إطار مجموعة من قواعد الاشتقاق الصارمة- إلى ما يترتب عنها من نتائج أو نظريات (محمد قاسم، 1999م، ص 58).

موجه هذا الأسلوب يتم التوصل إلى النتائج، عن طريق استنباطها في قضايا أخرى (عبد المنعم حسن، 1996م، ص 20) وهذا الأسلوب يأخذ المدرسة الفعلية علماء مختلفاً أنواعها، حيث تركز علماء الشك في مقدرة الحواس، فيكونها وسيلة صحيحة لنقل الأفكار الدقيقة عن العالم الخارجي، والإيحاء بقدر العقل، بوصفها المصدر الوحيد للحصول للمعرفة بطبيعة ذاتها، معتمداً على المدد العقل من أفكار ومعارف، ومبادئ تكون إذا استخدمها العقل استخداماً صحيحاً، نسقاً استنباطياً فاعلاً من الحقائق، يُعبر عن طبيعة العالم بأسره؛ أي أن المعرفة العقلية تُعد التحقيق هو العقلاني، وأنك لعقلاني هو حقيقي . ويُعدّ الحدس أداة أساسية في الاستدلال العقلي، التي تُمكننا العقل من تسرّب تطور الأشياء، والوصول إلى الحقائق عن طريق التفكير المجرد (القاضي، 1999م، ص 95). وقد تأثر موقف العقلانيين بالاستنباط الرياضي، ومحاوليتهم تعميم هذا المنهج على جميع عظم المعرفة. وكذلك على هذا المنهج تتوقف صحة المقدمات، فالخطأ أحياناً يكمن في بطننا بوضاء. أي أن صحة النتيجة تتوقف على صحة المقدمات، فالخطأ أحياناً يكمن في المقدمة الكبرى، فالباحث سلباً أن لا لبطأبيض، ولا يعرف أن هنا كبطأ أسود. وقد يكمن الخطأ في المقدمة الصغرى التيل ترتبط بالمقدمة الكبرى، أو قد يكمن الخطأ في أسلوب القياس.

ب- الأسلوب الاستقرائي:

هو أسلوب البحث في العلوم التجريبية كالطبيعة والكيمياء والأحياء، كما تستخدمه بعض العلوم الإنسانية كال تاريخ والنفس والاجتماع. يهدف إلى الكشف عن اطراد الظواهر وانطوائها تحت قوانين بعينها، ويستلزم هذا المنهج أو الأسلوب تطبيقاً دقيقاً واعياً لمجموعة من الخطوات والإجراءات يمكن تصنيفها في ثلاث مراحل هي: مرحلة الملاحظة والتجربة ومرحلة تكوين الفروض العلمية ومرحلة تحقيقها (محمد قاسم، 1999م، ص 58، صفحة 59) يتمثل الأسلوب الاستقرائي في السّير من الخاص إلى العام، كما يشمل الاستقراء مختلف الاستنتاجات العلمية المستندة على الملاحظة والتجريب. ومعنى كلمة استقراء بحسب الترجمة للكلمة اليونانية "Enay Wyn" "يقود"

حيث تدل على حركة العقل للقيام بعمليات هدفها التوصل إلى قانون أو قاعدة كلية تحكم الفرعيات أو التفاصيل التي تمّض إدراكها من قبل الأفراد (الغول، 1982م، ص 212-214).

إنّ الاستقراء هو طريقة تعتمد على مجموعة من الإجراءات التجريبية، المستمدة وجودها من الواقع الخارجي، والتي تنتهي بالمبادئ العامة أي لا تنقل من الخاص إلى العام، وهذا ما يمكن أن نلخصه عند تحديد المشكلة والأهداف والأهمية، وكذلك عند صياغة الفروض، وأيضاً عند معالجة البيانات والمعلومات، للظواهر والأحداث موضع الدراسة لاستخلاص النتائج. إنّ استخدام الاستبلال المنطقي في الاستقراء نتيجة عامة، بناء على حالات مختلفة بشكل متكرر ومنظم، مع افتراض استمرارها في المستقبل. وهذا كما في الخطوة الرابعة من معالجة البيانات والمعلومات لاستخلاص النتائج، ومن ثمّ تعميمها.

وانطلاقاً مما سبق نجد أنّ المنهج التاريخي يتطلب تفكيراً استنباطياً، وذلك عند اختياره حوادثاً وظواهر محددة، لتحديد أسسها المشكلة والفرضيات، وكذلك لكي يتطلب منهجاً استنباطياً، عند معالجة البيانات والمعلومات، التي تخصّ الظواهر والأحداث، مبنية على ملاحظات موثقة، وبالتالي استخلاص النتائج، ومن ثمّ تعميمها والذي قد تكون خبرة الباحث فيها حيزاً لا يستهان به.

3.1. مزايا المنهج التاريخي:

من مزايا المنهج التاريخي أنّه يعتمد الأسلوب العلمي في البحث (الإحساس بالمشكلة، تحديدها، صياغة الفرضيات، مراجعة الكتابات السابقة وتحليل النتائج وتفسيرها وتعميمها). لذلك تكمن أهمية الدراسات التاريخية في أنّها تساعد في الكشف عن النظريات العلمية والأساليب التي اعتمد عليها السابقون في حلّ مشاكلهم، ومن خلال دراسة تلك النظريات العلمية والأساليب يمكن الربط بين الظواهر الحالية والظواهر الماضية. كما أنّها تساعد في فهم الجوانب الإيجابية والسلبية لحياة الشعوب في الماضي، حيث يسعى للاستعانة بها في حلّ مشاكله الحالية، كما يأخذ العبر من نقاط الضعف التي مضت فيعمل على تجنبها. وبذلك فإنّ الدراسات التاريخية تُعطي فكرة مُصَغَّرة عن العلاقات بين الظواهر الاجتماعية والعوامل التي أدّت إلى نشأة وبروز المشاكل التي واجهها الناس في فترة زمنية معيّنة (عبيدات ذ.، 1983م، ص 173).

4.1. عيوب المنهج التاريخي:

بالرغم من المزايا التي يتحلّى بها المنهج التاريخي والتي سبق ذكرها إلا أنّ البعض بأنّ هذا المنهج كأسلوب علمي يعاني من بعض العيوب والنقائص والتي يمكننا تلخيصها فيما يلي: (محمد حسن، 1980م، ص 330)

- تتعرّض بعض الأحداث التاريخية للتلف والتزوير وبالتالي فإنّه من الصعب القول إنّ التاريخ سيُعطينا معرفة كاملة حول مختلف جوانب الحياة وظواهرها في الماضي.
- صعوبة تطبيق المنهجية العلمية -بمراحلها المختلفة- لتغير الأحداث التاريخية وذلك لأسباب أهمّها طبيعة الحدث التاريخي وخصائصه ومصادر الحصول على معلومات موثقة عنه من جهة، بالإضافة إلى صعوبة إخضاعه للتجربة من جهة أخرى.

- صعوبة وضع فرضيات واضحة مبنية على أسس نظرية قوية للأحداث التاريخية وذلك لأسباب أهمها أنّ علاقة السبب بالنتيجة في تحديد مسار الأحداث التاريخية نفسها ليست علاقة يمكن تصويرها بشكل دقيق أو واضح وذلك لتشابك أو تعارض أو تعدّد الأسباب ومن ثمّ التفسيرات لهذا الحدث أو ذاك.
- عجز الباحثين بحسب المنهج التاريخي عن الإلمام الكافي بالمادة التاريخية ومن مصادرها الأولية أو الثانوية، الأمر الذي يؤدي إلى صعوبات لا يمكن تجاهلها عند التحقق من الفرضيات أو الأسباب باستخدام التجريب.

2. المنهج الوصفي:

الوصف لغةً: هو نقل صورة العالم الخارجي أو العالم الداخلي من خلال الألفاظ والعبارات والتشابه والاستعارات التي تقوم مقام الألوان لدى الرسّام، والنغم لدى الموسيقي (جبور، 1984م، ص 292).

أمّا الوصف العلمي فيذكر خصائص ما هو كائن، ويفسّره ويحدّد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع، وكذلك الممارسات الشائعة أو السائدة والتعرّف على المعتقدات والاتجاهات عند الأفراد والجماعات وطرائقها في النموّ و التطوّر (جابر، 2002م، ص 134). وعليه فإنّ الوصف هو رصد حال أيّ شيء، سواء كان وصفاً فيزيائياً، أم بيان خصائص مادّية أو معنوية لأفراد أو جماعات. وقد يكون هذا الرصد كمّياً مُعبّراً عنه بالأرقام، أو كيفياً أو يجمع بينهما (بوحوش، 1999م، ص 138).

هو منهج من مناهج التحليل المرّكّز على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدّد أو فترة زمنية معلومة، حيث يقوم على وصف البيانات والخصائص المرتبطة بالظاهرة المدروسة، أي يهتم بالمنهج الوصفي بدراسة الظواهر والأحداث، كما هي من حيث خصائصها وأشكالها، والعوامل المؤثرة في ذلك. كما يضع إجابات للتساؤلات التي يطرحها البحث والتي تبدأ ب: من أو كيف أو أين وغيرها.

فهو يدرس حاضر الظواهر والأحداث عن طريق توصيفها، مع جميع الجوانب والأبعاد، ويهدف لاستخلاص الحلول لتحديد الأسباب، والعلاقات التي أدت إلى هذه الظواهر والأحداث، وكذلك لتحديد العلاقات مع بعضها، والعوامل الخارجية المؤثرة بها، للاستفادة منها في التنبؤ بمستقبل هذه الأحداث والظواهر.

لقد استُخدم المنهج الوصفي في مختلف العلوم بشكل واسع، نظراً لما يتمتع به من مزايا، حيث يقوم على رصد ومتابعة الظاهرة أو الحدث بدقة، وبطريقة كمية ونوعية في فترة زمنية معينة، أو لعدة فترات زمنية، من أجل التعرف على الظروف والعوامل التي أدت إلى حدوثها، وللوصول إلى النتائج التي تساعد في فهمها لحاضر والتنبؤ بالمستقبل.

وعليه فإنّ " المنهج الوصفي لا يقتصر على الوصف الدقيق للظاهرة المدروسة فحسب، بل يتعدّى بُعد عملية وصف الظاهرة وجمع البيانات عنها ووصف الظروف والممارسات المختلفة، إلى تحليل هذه البيانات واستخراج الاستنتاجات، ومقارنة المعطيات، ثمّ التوصل إلى نتائج يمكن تعميمها في إطار معيّن. لذلك يُعدّ المنهج الوصفي أسلوباً أو طريقة لدراسة الظواهر الاجتماعية بشكل علمي منظّم من أجل الوصول إلى أغراض محدّدة لوضعية معيّنة اجتماعية أو مشكلة " (الحسن، 1982م، ص 157).

نستشف ممّا سلف ذكره أنّ المنهج الوصفي يسعى جاهداً إلى جمع كل البيانات الكافية والدقيقة عن الظاهرة موضوع الدراسة في الدرجة الأولى، ثم تحليل كل ما تمّ جمعه من البيانات بطريقة موضوعية في المرحلة الثانية والتي تؤدّي بدورها إلى التعرّف على العوامل المكوّنة والمؤثّرة على الظاهرة كخطوةٍ ثالثة، وهذا كلّهُ يتحقّق بفضل اعتماد المنهج الوصفي على جميع طرائق جمع البيانات كالمقابلات الشخصية والملاحظة المباشرة وغير المباشرة واستمارات الاستبيان وتحليل الوثائق وغيرها.

1.2. أهداف المنهج التاريخي:

للدراست الوصفية عدّة أهداف، يمكننا تلخيصها فيما يلي:

- إيجاد العلاقة بين الظواهر المختلفة.
- تحديد ما يفعله الأفراد في مشكلة ما والاستفادة من آرائهم وخبراتهم في وضع تصورات وخطط مستقبلية وإنجاز قرارات مناسبة في مشاكل ذات طبيعة مشابهة.
- إجراء مقارنة وتقييم لبعض الظواهر.
- جمع معلومات حقيقية ومفصّلة لظاهرة موجودة فعلاً في مجتمع معيّن (عبد المعطي، 1997م، ص 141).
- الكشف عن العلاقة بين متغيّرين أو تلك التي تنطلق من فروض معيّنة لإثبات صحتها.
- التعرّف على العوامل المختلفة المسؤولة عن انتشار الظاهرة خلال مرحلة معيّنة. (ناصر، 1997م، ص 28).
- إذا أنعمنا النظر جيّداً في الأهداف المذكورة سنستشف أنّ البحوث الوصفية تستند إلى أسس منهجية أهمّها التجريد والتعميم. فالتجريد هو عملية عزل وانتقاء مظاهر معيّنة كجزء من عملية تقويمية أو توصيلية إلى الآخرين. فلا تعارض بين التجريد وبين كون المواقف الاجتماعية أكثر تعقيداً من المواقف الفيزيائية. فالظواهر الفيزيائية من حيث البساطة والتعقيد مثل الظواهر الاجتماعية بحاجة إلى منهج علمي دقيق وأدوات قياس مناسبة. كما أنّه لا يوجد تعارض بين التجريد وكون كل واقعة اجتماعية منفردة، لأنّ تفرد الحادثة الاجتماعية هو تميّز في الكمّ والكيف، أي أنّه لا يمكننا الفصل بين خصائص الحادثة الاجتماعية والتجريد. وبالنسبة للتعميم فيمكننا إمكانية استخلاص حكم أو أحكام تصدق على فئة معيّنة منها، وقد يكون التعميم شاملاً فيسبق بكلمة "كلّ" أو "جميع" أو "لا واحد"، وقد يكون جزئياً، فيسبق بكلمة "بعض". وبالتعميم نصل بما استقرّأناه إلى ما لم نستقرّئه (شروخ، 2003م، ص 151-152).

انطلاقاً من هذه الأسس المنهجية للبحث أو المنهج الوصفي تتضح لنا خطواته كما يلي:

2.2. خطوات المنهج الوصفي:

إنّ خطوات تطبيق المنهج الوصفي في البحث العلمي، لا تختلف عن أيّ منهج علمي آخر، حيث يمكن إجمال

الخطوات في تطبيق المنهج الوصفي كالآتي: (دويدري، 2000م، ص 183):

- تفحص الموقف ودراسته دراسة وافية.

- تحديد مشكلة البحث وجمع المعلومات عنها.

-صياغة مشكلة البحث.

-صياغة فرضية معينة كحلّ مؤقتة أو مبدئية لهذه المشكلة بناءً على ملاحظاته ويدوّن هذه المشكلة ويقرّر الحقائق والمسلمات التي يستند إليها في دراسته.

-اختيار العينة المناسبة التي ستجرى عليه الدراسة مع توضيح حجم العينة وأسلوب اختيارها.

-تحديد طرائق جمع البيانات التي ينبغي الحصول عليها.

-تصنيف البيانات التي يريد الوصول إليها، وذلك بغرض المقارنة والتوصّل إلى وجوه الشبه وتبيّن العلاقات.

-اختيار أدوات البحث التي يستخدمها في جمع البيانات؛ كالاستبيان أو المقابلة أو الملاحظة، وفقاً لطبيعة المشكلة موضوع الدراسة، ويتحقق من صلاحية هذه الأدوات في جمع البيانات.

-القيام بملاحظات وجمع البيانات بطريقة موضوعية ودقيقة.

-تحديد النتائج التي توصّل إليها الباحث، وتصنيفها ثم تحليلها وتفسيرها بدقة وبساطة، ومن ثمّ وضع توصيات لتحسين الواقع الذي يدرسه.

-الوصول إلى النتائج وتفسيرها واستخلاص التعميمات.

3.2. أساليب المنهج الوصفي:

لتنفيذ البحوث العلمية وفقاً لمنهج الوصفية مجموعة من أساليب البحث العلمي، التي تستخدم من قبل الباحثين، رغماً أم لا، يوجد اتفاق بين الباحثين حول كيفية تصنيفها، نظراً لاختلاف خلفياتهم العلمية والثقافية وخبرتهم العلمية. وسنحاول فيما يلي: التعرف على أهم هذه الأساليب على الصعيدين النظري:

أ. أسلوب المسح/الدراسات المسحية:

يُعَدُّ المسح واحداً من الأساليب الأساسية، إن لم نقل أكثرها شيوعاً في البحوث الوصفية، يقوم على تجميع المعلومات المنظمة للبيانات والمعلومات الأولية اللازمة، عن ظاهرة أو حدثاً وتحليل وتفسير وتقرير الوضع الراهن لموضوع معين في مجتمع محدّد ووقت معيّن. وإنما يميز أسلوب المسح بمكانية جمع عدد هائل من البيانات والمعلومات قصد مساعدة الباحث في الوصول إلى نتائج علمية، ينسّق قليلة من الخطأ، وبالتالي تعميم تلك النتائج على المجتمع المدروس. واستناداً على ما سبق فإنّ الدراسات المسحية تهدف إلى: (عدنان، 2008م، ص 78).

- وصفو تشخيص ظاهرة ما، وجمع البيانات عنها و تقرير حالتها كما هي في الواقع الراهن أي ما هو قائم فعلاً في جزء من المجتمع.

- عمل مقارنة بين الواقع والمعايير المحددة.

- اقتراح الخطوات والأساليب التي يمكن أن تُتبع للوصول إلى ما ينبغي أن تكون عليه الظاهرة في ضوء المعايير المحددة.

- استخلاص نتائج تُطبّق على المجتمع كلّ.

إن الدراسات المسحية تعتبر أداة مهمة، للحصول على البيانات والمعلومات اللازمة للتخطيط، وحل المشاكل الاجتماعية والإدارية بشكل خاص، ولتقديم معلومات تعلقُدِرِنا الواقعية عن الظاهرة أو الحدث المدروس، دون تحيز وبعيداً عن الملاموضة، وبالتالي يمكن الباحث من تعميم نتائجها على مجتمع المدروس.

1. أما معوقات تطبيق أسلوب الباحث كمنهج للدراسة:

- ارتفاع تكاليف تنفيذ البحوث المعتمدة عليه.
- حاجة الباحث لعدد مؤهل من المعلومات والمعلومات.
- طول فترة إنجاز البحوث، بسبب تعدد خطوات إعدادها وكمية البيانات والمعلومات، وتعدد أساليب جمعها ومعالجتها وعرضها.

ب. أسلوب دراسة الحالة:

يُعتبر أسلوب دراسة الحالة أسلوباً متميزاً يقوم أساساً بدراسة حالة معينة بشكل معمق، بجمع بيانات ومعلومات شاملة ومفصلة عنها، بهدف الوصول لفهم أعمق للظاهرة أو الحدث المدروس، أو ما يمثّلها من ظواهر وأحداث، وذلك بجمع البيانات والمعلومات عن الوضع الحالي والماضي، وعلاقتها بمعالجات ومعالظواهر الأحداث الأخرى، وذلك كلفهم أعمق وتفسير أفضل للأسباب وللمجتمع الذي نخفيه . ويتم جمع البيانات والمعلومات، وفقاً لأسلوب دراسة الحالة بالوسائل المتعارف عليها مثل المقابلة الشخصية، الاستبيان، الوثائق، المنشورات المهنية والحكومية . . وغيرها . وغالباً ما يستخدم أسلوب دراسة الحالة كمكمل لأسلوب المسح . رغم أن هذا الأسلوب يؤدي إلى الكشف عن كثير من الحقائق والمعلومات التفصيلية الدقيقة عن الحالة المدروسة.

ب1. خطوات أسلوب دراسة الحالة:

- يتضمن أسلوب دراسة الحالة لظاهرة مجموعة من الخطوات هي على النحو التالي: (العكش، 1995م، ص 122-132).
- تحديد أهداف الدراسة : و تتطلب هذه الخطوة تحديداً لموضوع الدراسة، والظاهرة أو الحدث، وكذلك تحديداً لوحدة الدراسة وخصائصه، أي تحديد المشكلة أو الحالة أو نوع السلوك المراد دراسته. فالحالة يمكن أن تكون فرداً أو جماعة أو نظاماً أو مؤسسة اجتماعية أو مجتمعاً محلياً.
- إعداد مخطط البحث والدراسة : و هذه الخطوة ضرورية، لأنها تساعد الباحث في تحديد مساره واتجاه سيره حيث يمكنهم تحديد أنواع البيانات والمعلومات المطلوبة، والطرق المناسبة لجمعها وأساليب تحليلها.
- تحديد المفاهيم والفروض العلمية.
- جمع المعلومات من مصادرها، وبالوسائل المختلفة التي يتم تحديدها مسبقاً وتسجيلها وتحليلها.
- تنظيم وعرض وتحليل البيانات، بالأساليب التي يراها الباحث أنها تحقق أهداف بحثه ودراسته.
- النتائج والتوصيات : وفي هذه المرحلة يوضح الباحث النتائج التي تم التوصل إليها، وأهميتها وإمكانية الاستفادة منها في دراسات أخرى ووضع التعميمات.

وينبغي أن يدرك الباحث المتبع لهذا الأسلوب في الدراسة والتحليل ضرورة وقوفه موقف الموضوعية والحياد وعدم إصدار أي حكم ذاتي مهما كان عن الحالات التي يدرسها بُغية أن تكون نتائج الدراسة المطبقة على مجتمع الحالة نتائج واقعية ومثالية، ويجب التركيز على تَعَلُّم الحقائق عن طريق تشخيصها وتحليلها وتفسيرها.

ب2. إيجابيات و سلبيات أسلوب دراسة الحالة:

- يحقق تطبيقاً أسلوباً منهجاً الحالة مجموعة من الفوائد والإيجابيات و أهمها: (عسافين، د ت، ص 105):
- توفر معلومات تفصيلية وشاملة ومتعمقة، عن الظاهرة المدروسة وبشكل لا تتوفر لها ساليات البحث الأخرى.
- يساعد في تكوين اشتقاق فرضيات جديدة، وبالتالي فتح الباب أمام دراسات أخرى في المستقبل.
- يتمكن من الوصول إلى نتائج دقيقة وتفصيلية، حول وضع الظاهرة المدروسة مقرونة بمنهج البحث الأخرى.
- استخدام العديد من الأدوات التي تساعد على جمع معلومات كثيرة ووجهات نظر عديدة، ويسدّ كل الثغرات.
- صعوبة تعميم نتائج أسلوب دراسة الحالة، على حالات أخرى مشابهة للظاهرة المدروسة، خصوصاً إذا كانت العينة غير ممثلة لمجتمع الدراسة.
- تحيز الباحث في بعض الأحيان، عند تحليل وتفسير نتائج الظاهرة، الأمر الذي يجعل الباحث عنصراً غير محايد، وبالتالي تباعد النتائج عن الموضوعية.

ج. أسلوب تحليل المحتوى (المضمون):

تحليل المضمون يُطلق على مجموعة من الأدوات المنهجية التي تتسم بالدقة، أي يقوم بمعلومات مضمون موزون، لمحتوى تقرير معين حول ظاهرة أو حدثاً، من خلال تحديد مشكلة الدراسة وأهميتها وهدفها، وتحديد مجتمع الدراسة الذي سيتم اختيار الحالات الحاصلة فيه، لدراسة مضمونها وتحليله. وعادة ما يتم تحليل المضمون، من خلال الإجابة على الأسئلة المعينة والمحددة والمصاغة مسبقاً، بحيث تساعد الإجابة على هذه الأسئلة، في وضع وتصنيف محتوى المادة المدروسة، بشكل يساعد على إظهار العلاقات المترابطة بين أجزاء ومواضيع النص. أي إنّ تحليل المضمون يمكن عدّه منهجاً لاختبار الفروض وليس مجرد أداة لتجميع البيانات، ومن تطبيقات هذا المنهج التمييز بين كتابات مؤلفين مختلفين عن طريق تحليل النصوص الموجودة، وغير المبيّنة صراحة عليها اسم أيّ من المؤلفين، وذلك باختيار كلمات تميّز كتابات أحدهما عن الآخر (بدر، 1996م، ص 346) ذلك أنّ لكل إنسان معجماً يجمع ألفاظه ومفرداته؛ يكثر من استخدامها، ويتناول منه الالفاظ والمفردات التي يستعملها. ويشترط في مثل هذا الأسلوب عدم تحيز الباحث عند اختيار عينة النصوص، أو المسموعات المراد دراستها وتحليل مضمونها، حيث يجب أن تكون ممثلة بشكل موضوعي لمجتمع الدراسة.

ج1. إيجابيات وسلبيات أسلوب تحليل المحتوى:

يمتاز أسلوب تحليل المحتوى بعدد من الإيجابيات هي: (دالين، د س، ص 378).

لا يحتاج الباحث إلى الاتصال بالمبحوثين، لإجراء تجارباً ومقابلات، وذلك لأن المادة المطلوبة للدراسة متوفرة، في الكتب والملفات ووسائل الإعلام المختلفة.

- إمكانية التحكم في هذه الأداة والسيطرة عليها.

- لا يؤثر الباحث في المعلومات التي يقوم بتحليلها، فتتقنكم هي قبل وبعد إجراء الدراسة.

- تحقيق قدر كبير من الموضوعية والنزاهة.

- هناك إمكانية لإعادة إجراء الدراسة مرة ثانية، ومقارنة النتائج مع الممارسة الأولى لنفس الظاهرة أو الحدث، مع نتائج دراسة ظواهر وحالات أخرى.

وأما السلبيات التي تعترض هذا الأسلوب فتذكر منها:

- يحتاج الجهد مكثيف من قبل الباحث.

- احتياجها إلى جهد وصبر ووقت في استخراج أقصى ما فيها من نتائج ومؤشرات.

- احتمال عدم الحصول على النوعيات المطلوبة، والفئات التي تلزم الدراسة بسبب عمليات إخفاء متعمدة لإعائنات تحليل المضمون.

- يغلب على نتائج أسلوب تحليل المحتوى، طابع الوصف لمتن وشكل المادة المدروسة، ولا يبين الأسباب التي أدت إلى ظهور المادة المدروسة بهذا الشكل والمحتوى.

- لا يمتاز هذا الأسلوب بالمرونة، حيث يكون الباحث مقيداً بالمادة المدروسة ومصادرها المحدودة.

3. المنهج التجريبي:

لقد بدأ الإنسان منذ وجوده على وجه الأرض في التعامل مع الطبيعة، حيث استطاع عن طريق الملاحظة والتجريب والتأقلم والوصول إلى أبعد ما يمكن، لأنّ اهتمامه كان مركّزاً على كيفية التكيف واستثمار الطبيعة للتعامل مع الظواهر وتفسيرها. فالإنسان الأوّل كان يستخدم المنهج التجريبي دون أن يشعر أو يكتشف ذلك، والآن أصبح مكتمل الصورة باعتماده على القواعد العلمية. ويتعلق هذا المنهج بإجراء التجارب للحصول على النتائج، حيث يستخدم التجارب لاكتشاف الأسباب والعوامل التي تؤثر في الظواهر مع التحديد الدقيق للأسباب والمتغيرات التي تؤدي إلى حدوث الظاهرة وتسييرها والتحكم بها.

يُعدّ المنهج التجريبي من أقرب المناهج إلى الطريقة العلمية الصحيحة والموضوعية واليقينية في البحث عن الحقيقة واكتشافها وتفسيرها والتنبؤ بها والتحكم فيها.

يُعرّف المنهج التجريبي على أنّه:

- أسلوب تجريبي يتعلّق بإحداث تغيير مضبوط على ظاهرة موضوع الدراسة وملاحظة ما ينتج عن هذا التغيير من آثار.

- أسلوب تجريبي يتعلّق باستخدام إجراءات وتدابير ومتغيّرات مؤثرة لمعرفة مدى تأثيرها على واقع معيّن أو ظاهرة محدّدة.
- أسلوب تجريبي يتعلّق بإجراء تجارب لمعرفة العلاقة بين عاملين أحدهما يسمى عامل تجريبي مستقلّ وآخر يسمى عامل تابع.
- أسلوب يتعلّق بإجراء تجربة لقياس أثر أحد المتغيّرات المستقلّة على متغيّر تابع آخر (عناية، 2014م، ص 38). هو منهج يشترك في دراساته وتحليلاته للظواهر الطبيعية والإنسانية مع غيره من مناهج البحث العلمي الأخرى في إجراء التجارب على الظواهر والوقائع وعينات الدراسة للتأكد من حقيقة الظاهرة أو لإثبات صحة الفرضية أو الحصول على النتائج. أي هو ذلك المنهج الذي يعتمد على التجربة العملية، كوسيلة للحصول على البيانات والمعلومات، عن الظاهرة أو الحدث المدروس. لأن التجربة العملية هي المنبع للبيانات والمعلومات، بحيث يمكن التحكم في ظروفها ومتغيّراتها، وبالتالي تطرّح العلاقات السببية التي تحكم متغيّراتها مع ذاتها ومع البيئة الخارجية. ولا يقتصر دور الباحث في هذا المنهج على وصف الوضع الراهن للظاهرة أو الحدث، بل يتعداه إلى التدخل بوضوح مقصود من قبل الباحث، بهدف تكرار حدوث الظاهرة أو الحدث، من خلال استخدام إجراء أو إجراء واحد أو أكثر، بهدف إثبات حقيقة النتائج الحقيقية.
- يعتبر المنهج التجريبي من أدقّ المناهج وأكثرها وضوحاً في بحوث العلوم الطبيعية، وتكمن أهميته في كونه لا يقتصر على مجرد وصف الظواهر التي تتناولها الدراسة كما يحدث عادة في البحوث الوصفية، ولا يقتصر على مجرد التأريخ لواقعة معيّنة من الماضي، وإنما يدرس متغيّرات الظواهر ويتحكم فيها للوصول إلى العلاقات السببية بين هذه المتغيرات والمتغيّرات الثابتة في الظاهرة المدروسة.
- إن المنهج التجريبي يعمل على استقصاء العلاقات السببية بين المتغيّرات المسؤولة، عن حدوث الظاهرة أو الحدث، أو التأثير فيها بشكل مباشر أو غير مباشر، وذلك بهدف التعرف على أثر دور كل متغير من هذه المتغيرات في هذا المجال، ومن أجل ذلك يقوم الباحث بتكرار التجربة التي يجريها عدة مرات، وفي كل مرة يتركز على دراسة وملاحظة أثر عامل أو متغير معيّن.

1.3. خطوات المنهج التجريبي:

نظراً لطبيعة هذا المنهج تختلف خطوات البحث فيه عن المناهج الأخرى، فهو يبدأ بالملاحظة الظاهرة موضوع البحث ووضع الفروض ثم القيام بالتجربة ومحاولة الوصول إلى معرفة العلاقات الموجودة بين الظواهر واكتشاف القوانين التي تحكمها، ويمكن عرض هذه الخطوات كما يلي: (عمر، 1978م، ص 99)

أ. تعريف وتحديد المشكلة / التجربة:

التجربة هنا عبارة عن مجموعة من الإجراءات المنظمةة والمقصودة، التي تمكّن الباحث من التحكم، وضبط دورها في تشكيل الظاهرة أو الحدث، وبالتالي الوصول إلى نتائج مثبتة الفروض وتنفيذها، وتصحيح التجربة يتطلب درجة عالية من الخبرة والكفاءة، لأنّه يتوجب حصر العوامل والمتغيرات، ذات العلاقة بالظاهرة أو الحدث المدروس، و

كذلك لتحديد العوامل المستقلة، والعوامل المتغيرة، وتحديد دورها وتأثيرها، مع وجوب ألا يغيب عن الباحث وجود متغيراً آخر خارجياً، تؤثر على المتغيرات، ولكن الباحث لا يقوم بأخذها في الاعتبار، لصعوبة قياسها وعدم معرفة الدقة منها.

ب. إجراء وتنفيذ التجربة:

وذلك بعد تحديد نوعية المتغير التي تشكل دقيقتين واضحتين يستطيع الباحث صياغة الفرضية، في محاولة لإيجاد العلاقة بين المتغير المستقل والتابع.

إن نتائج البحوث التجريبية تتم بعد درجة كبيرة من الصدق والثقة، تفوق البحوث الأخرى. ولهذا لم يتخل عنها الباحثون فنيماً في المعرفة الاجتماعية، بل حاولوا من خلال التعديلات الضرورية عند تعميم نتائجهم، أن يُتاح لهم قدر كبير من التحكم في المتغير أو المتغيرات وفي البحوث التجريبية. وهذا الباحث لا ينتظر حدوث الظاهرة أمامه، ولكنه يجد الظروف والشروط المناسبة لواقعة معينة، ثم يقوم بعملية الملاحظة والتحليل والتفسير. إن العلوم الاجتماعية التي تنصب على التعقيد، تتأثر بالعوامل الشخصية واتجاهاتها وبالعوامل الفكرية والنفسية والجنسية والانفعالية، وهذه تختلف من شخص لآخر، ومن قبل الناس الذين يتجرعون عليها التجربة.

2.3. أساليب تطبيق المنهج التجريبي:

يقوم المنهج التجريبي على الملاحظة الدقيقة والمضبوطة، وفق خطة واضحة تُحدد فيها المتغيرات المستقلة والتابعة، ولكي يتحقق ذلك لابد من مراعاة مجموعة من الأسس عند تطبيق مثل هذا المنهج هي: (عودة، 2000م، ص 120-121).

- تحديد وتعريف دقيق لجميع العوامل التي تؤثر في المتغير التابع.
- ضبط محكم ودقيق لجميع العوامل المؤثرة في المتغير التابع، وذلك من أجل التأكد من أن العوامل المستقلة هي المسئولة عن النتائج، التي تم التوصل إليها، ومع أن هذه المهمة ليست سهلة، إلا أنها (عودة، 2000م، ص 120-121) ضرورة لضمان صحة وموضوعية النتائج التي ينبغي ضبطها وهي: العوامل التي تربط الفوارق بين أفراد العينة، وتلك التي تعود إلى الإجراءات التجريبية، وأخيراً العوامل التي تعود لمؤثرات خارجية.
- تكرار التجربة ما أمكن للتأكد من صحة النتائج.

3.3. خصائص ومميزات المنهج التجريبي:

يعتبر المنهج التجريبي من أكثر مناهج البحث العلمي كفاءة ودقة، وهذا يرتبط بمجموعة من الخصائص والمميزات التي يتمتع بها هذا المنهج وهي:

- يقوم المنهج التجريبي على الملاحظة الدقيقة في اختبار صدق الفرضية، ويمكن تقسيم هذه الملاحظة المضبوطة إلى ملاحظة بحتة وملاحظة مع التجربة، حيث تعتمد الملاحظة البحتة على عزل صفات الشيء ذهنياً من أجل إدراك العلاقة بين خصائصه، أي بقصد الكشف عن القوانين العامة، في حين تعتمد الملاحظة مع التجربة على المقابلة بين الفرضيات والوقائع، فهي تقوم على التحليل الواقعي، بخلاف الملاحظة البحتة التي تكتفي بالتحليل المنطقي.

- يكشف المنهج التجريبي عن العلاقة السببية بين الظواهر والمتغيرات. والمفهوم العام للسببية هو أنّ حادثاً أو ظاهرة معينة تؤدي إلى حدوث حادثة أو ظاهرة أخرى، فحدوث أية ظاهرة خاصة إذا كانت اجتماعية، لا يرجع إلى عامل واحد بل إلى عوامل وظروف محدّدة ومتعدّدة.

- يسمح المنهج التجريبي بتكرار التجربة للتأكد من صحّة النتائج ودقّتها، فتعامل الباحث مع عامل واحد وتثبيت العوامل الأخرى يساعده في اكتشاف العلاقات السببية بين المتغيرات بسرعة ودقّة أكثر.

- إنّ متانة المنهج التجريبي وقوّته تكمن في أنّ الباحث يحاول في كل تجربة اختبار فرضية توضّح وجود علاقة سببية منتظمة بين متغيّر وظاهرة معينة أو متغيّر آخر، وذلك عن طريق اختبار مجموعتين متكافئتين ومتساويتين. كما تتمثّل هذه القوّة في خضوعه للتحكّم والضبط، فالباحث لا يكتفي بوصف وتفسير وتحليل ما هو موجود، بل يتدخّل في تكوين المواقف التجريبية وفي توجيه العوامل والظروف بالحذف أو الإثبات وفي تنظيمها وفي ترتيبها، كما يمكن للباحث أن يفرض الضوابط على تجربته، بحيث يبعد أيّ احتمال لتدخّل عوامل أخرى أثناء إجرائه للتجربة (الشيباني، 1989م، ص 168-169).

4.3. الصعوبات التي يواجهها الباحث في البحوث التجريبية:

يكتنف المنهج التجريبي في البحث صعوبات عديدة شأنها في ذلك شأن طرق البحث الأخرى، ومن هذه الصعوبات مايلي (العكش، البحث العلمي: المناهج والإجراءات، 1995م، ص 101-102).

- صعوبة تحديد جميع المتغيرات التي تؤثر على نتائج التجارب التي يجريها الباحث إذ إنّ أحد أو بعض هذه المتغيرات قد يغفلها الباحث لعدم معرفته بوجودها.

- قد يُشكل عدم توافر الأدوات والأجهزة الدقيقة نوعاً من الصعوبة في إجراءات البحث ممّا يؤدي إلى وجود الأخطاء في القياسات، ذلك لأنّ استخدام الأجهزة غير الدقيقة في التجربة كثيراً ما يؤدي إلى بيانات ونتائج غير دقيقة وبالتالي فشل التجربة والدراسة نهائياً.

- من الصعب أن يتمكن الباحثون من اختيار مجموعتين متكافئتين تماماً من جميع الجوانب والأبعاد، وبالتالي فإن نتائج التجربة لا بد أن تتأثر بالفروقات بين صفات وخصائص المجموعتين.

- في البحوث التجريبية قد يحدث خطأ التحيز، سواء في القوائم بالبحث أو في الأشخاص الذين هم موضع التجربة ذاتها وذلك لأنّ هؤلاء الأشخاص إذا انتبهوا لدورهم في التجربة سيحاولون بذل الجهد لإنجاح التجربة وبذلك لا تكون التجربة قريبة من الظروف الطبيعية.

- احتمال وجود الأخطاء التجريبية التي تنسب في البداية لوصول نتائج غير دقيقة، ومن أهم هذه الأخطاء التجريبية:

أ- أخطاء إجرائية: أي منحيل الإجراء المستخدم خلال التجربة، فإذا حصلت تعديل في هذا الإجراء أو طرائق

اختبار الأفراد جامعي المعلومات أو محلليها نتيجة تغيير الشبكة الاستشارية القائمة على البحث مثلاً، فإنّ هذا

التعديل سيؤدي لعدم دقة النتائج وخاصة إذا كانت قوتها بعد الانتهاء من القياسات قبل البدء في إجراء القياسات البعدي.

ب- أخطاء اختيار العينة: والمتمثلة في وجود تحيز شكلاً أو بآخر أثناء إجراء عملية اختيار العينة.

ت- أخطاء توقيت القياسات: عندما تكون التغيرات اتفياً للمتغير التابع ناتجة عن توقيت عملاً لقياسات وليس عن إدخال أثر التغير المستقل على التجربة، فإذا قمنا بقياس أداء رجال البيع قبل تعريضهم للدورة تدريبية معينة تهدف إلى زيادة مهاراتهم في البيع، ثم أجرينا قياساً أداء آخر بعد انتهاء الدورة في فترة ذروة الطلب في الصيف مثلاً، فإن الفرق بين مستويي الأداء قد يرجع في جزء منه إلى التغير المستقل وهو الدورة التدريبية إلا أن الجزء الآخر لا بد وأن يرجع إلى توقيت عملاً لقياسات.

ث- أخطاء تنفيذ القياسات: وهي تلك الأخطاء المتعلقة بالخطأ في آثار إدخال المتغير المستقل على التجربة وبين المتغيرات الأخرى الخارجية، كدخول منافس قوي للسوق بما يؤثر في حجم المبيعات، وأداء رجال البيع أو صدور نظائرها من جديد مما يؤدي بالتأثير على نتائج العاملين.

5.3. مؤهلات الباحث التجريبي:

ينبغي أن تتوفر في الباحث التجريبي بشكل خاص بعض المؤهلات التي تعينه على السير في مختلف إجراءات البحث والمتمثلة في: (عوض صابر، 2002م، ص 74-75).

- إنَّ الباحث التجريبي يجب أن يمتلك الخلفية العلمية كضرورة قبل أن يأخذ التجربة مأخذ الاعتبار الجدّي، فالخبرة، القراءة والاتصالات العلمية المهنية تُسهم جميعاً في مستوى فهم الباحث للمشكلة وتُساعد على إثارة الأسئلة الصحيحة والرؤية العلمية الفاحصة للفروض ولصياغة وتركيب التصميم التجريبي الملائم.

- الباحث التجريبي يجب أن يكون على علم بالمعالجات الإحصائية التي يجب أن تُستخدم في جميع خطوات البحث، حيث أنَّ الإحصاء والتجريب يسير جنباً إلى جنب. إنَّ فهم الطرق الإحصائية المختلفة يُعتبر أمراً هاماً، فعلم الباحث بالإحصاء من شأنه المساهمة في خطوات البحث من البداية حتى النهاية.

- يجب أن يمتلك الباحث الإدراك الفطري السليم للحكم على الأمور، فهي من الأمور المطلوبة أثناء السير بخطوات الدراسة التجريبية. فعلى الباحث أن يتخذ العديد من القرارات كلما تقدّمَ ببحثه.

الخاتمة:

إنَّ تحديد المنهج والأسلوب الممكن استخدامه، لدراسة ظاهرة معينة أو حدث معين، مرهون بطبيعة ومحتو الظاهرة أو الحدث قيد الدراسة. أي أنَّ مناهج وأساليب البحث العلمي تتمايز باختلاف الظواهر والأحداث المدروسة، وما يصلح منها لدراسة ظاهرة معينة، قد لا يصلح لدراسة ظاهرة أخرى، وذلك لاختلاف الطبيعة والخصائص الذاتية لكل ظاهرة أو حدث. إلا أنَّ ذلك لا يعنى إمكانية دراسة ظاهرة أو حدث باستخدام أكثر من منهج وأساليب، مع وجوب الإشارة إلى أنَّ بعض الظواهر والأحداث، لا يمكن أن تُدرس إلا باستخدام أسلوباً ومنهجاً محدداً، لأنَّ الكثير من العلوم يمكن تمييزها والتعرُّف عليها من خلال طبيعة البيانات العلمية. والبعض الآخر من العلوم مُحدَّد طبيعته من خلال أسلوباً ومنهجاً علمي معين لدراسة.